المصدر: اخبار اليوم
التاريخ : ١٩٨١/١١/١٤

خواطر شخصية عن السادات

كان اهتمامه بالغا بالخطاب الذى سيلقيه امام مجلس الشعب ، والشورى ، يوم ٥ سبتمبر الماضى . .

فلا حديث ـ وقتذاك الا عن الفتنة الطائفية ، فى أعقاب احداث الزاوية الحمراء ، العالم الخارجى ضخم كثيرا من حجم تلك الاحداث . والراى العام المصرى ، وقف امامها حائرا ، وقلقا .. وكان الزعيم الراحل انور السادات ـ كعادته دائما ـ يضع اذنيه عند نبض الشعب . فاحس بحيرته ، وشعر بقلقه . ورأى الا يكتفى بسماع ما يقال له من معلومات ، كما تعود ، وطلب أن يقرأ بنفسه تلك المعلومات .

بقلم : ابراهيم سعده

ذهبنا للقاء الاسبوعى معه ،وكان فى استراحة المعمورة . وبدا اللقاء بسؤاله التقليدى لنا :

ـ (ماذا يشغل بال الرأى العام هذا الاسبوع ، ليكون حديثنا اليوم ؟) .

وقلنا له :

ـ (لا حديث للناس الا عن موضوع الفتنه الطائفية ،واخطارها وما ستقوله فيها فى خطاب ٥ سبتمبر القادم) .

ورد الزعيم الراحل :

ـ (فعلا .. هذا هو حديث الساعة الذى يمكن أن تتناولوه فى العدد القادم .)

وسالناه عن الخطوط العريضة التى سيتناولها فى خطابه المنتظر أمام مجلس الشعب والشورى .

فرد قائلا :

ـ (العناصر الرئيسية موجوده. ولكن تفسيرها هو الذى لم انته منه حتى الان . امامى هنا تلال من الاوراق ، اعكف على قراءتها ودراستها ، ورقة بعد ورقة .. ان القضيه خطيرة لدرجة لم اتصورها ، أو اتوقعها عندما سمعت عنها لاول مرة. لقد الغيت كل مواعيدى ، وخصصت وقتى كله لقراءة تحقيق النيابه فى احداث الزاوية الحمراء . وتحليل اجهزة امن الدولة لما حدث . وجميع المخالفات التى ارتكبت فى السنوات الماضية ، واستغل فيها الدين كستار لتحقيق الاهداف السياسية .. كما قرات نماذج للسلوك الشخصى لعدد من المتطرفين ، والمتعصبين ، من مسلمين ،واقباط .. وقرات الصحف ، والنشرات، والمنشورات ، التى ساهمت فى تفجير هذه الاحداث الطائفية . لقد ذهلت حقيقة من مواقف بعض القيادات الدينية ـ من مسلمين واقباط ـ من هذه الفتنة التى تواجهها بلادنا هذه الايام . وهذا كله ساعتمد عليه عندما القف يوم ٥ سبتمبر القادم لاحكى لشعبنا ماذا كان يراد له ، وماذا كان يخطط ضده .)

كان الرئيس السادات قلقا جدا بما سمعه ، وما قراه ، من معلومات وتحركات ، لم يكن يتوقعها ، أو على الاصح ، لم يكن يعرفها !

ولم يكن قلقا على نفسه . وانما كان قلقه الاعظم على مصر . على شعبها . وعلى ما يخطط ضده .. ولم تكن هذه هى المره الاولى التى سمع فيها الزعيم الراحل عما يدبره المتعصبون ، والمتورون ، لاشعال الفتنة الطائفية فى مصر . مرات عديدة نقل اليه المسئولون تحركات تلك العناصر ، وتصرفاتها، واتصالاتها ، ومخططاتها . وفى كل مرة كان السادات يهون من حجمها، ويقلل من اخطارها . كثيرون ذهبوا اليه ، القلق فوق وجوههم ، والكلمات تتذبذب فوق شفاههم . منهم من تشجع ، وكان واضحا فى تحذيره ، ومنهم من كان مترددا ، فعمل على تغليف مخاوفه بكلمات فيها من الطمانينة ، اكثر مما فيها من المحاذير والمخاوف .

وكان رحمه الله يستمع الى الجميع . الى الواضحين ، والى المترددين . وكان يتهم الواضحين بانهم من المتشائمين ، الخائفين . فهم ـ فى رايه ـ من الافندية الذين عزلوا انفسهم عن جماهير الشعب ، فاصبحوا يفكرون فى اشياء لا تخطر على بال الشعب مطلقا !

وكان يحلو للرئيس السادات ـ كثيرا ـ ان ينتقد هؤلاء (الافندية) كما يطلق عليهم . فهو لا يعجبه منهم ، انهم يفقدون الثقة بسرعة . فاقل شىء يهزهم ، وابسط تغيير

يخيفهم ، وأى تهديد يفزعهم فاذا قرأوا نقدا شديدا فى احدى صحف المعارضة ، تصوروا ان هذا الرأى يعبر عن رأى الجماهير .. واذا سمعوا هتافا عدائيا ، تخيلوا وقوع ثورة شعبية كاسحة . واذا تفهموا لبعض ما يشكو منه المواطنون ، أظلمت الدنيا فى وجوههم وتوقعوا انقلابا وشيكا .

وكان السادات يطالب (الافندية) بالثقة فى الذات . فالنافدون جماعة تافهة ، يمكن حصرهم بسهولة .. والشامتون لا وزن لهم ، فحقدهم الاعمى يملأ قلوبهم ، وينطق السنتهم ، ويحرك اقلامهم. وهو - أى السادات - لا يتعامل مطلقا مع الحقد .

وكانت نصيحة الزعيم الراحل لاعوانه : (لا تنزعجوا ، ولا تهتموا بتلك الفقاعات . اهتموا فقط بالقاعدة العريضة من الشعب . انها قاعدة سليمة وعليكم الاقتراب دائما منها لتعرفوا الحقيقة . ما من قرار اتخذته ، وأدهش الدنيا كلها ، الا وتفهمه شعبى بسرعة البرق . وما من سياسة أعلنتها ، وأخافت بعض من يعمل بجانبى ، الا وتحمس لها الشعب ، وأيدها ، وفهم ابعادها) .

هكذا كانت ثقة الزعيم الراحل فى شعبه .. وهكذا كان رأيه دائما للخائفين ، القلقين ، المفزوعين .

> فى الفترة الاخيرة الماضية ، كان الاحساس العام لدى كل مواطن أن « الدنيا سايبة » .. وتولد الانطباع بأن فى استطاعة اى واحد أن يفعل اى شىء ! فلا القانون يتدخل ، ولا القيم تحترم ، ولا اللوائح تنفذ ، ولا العقاب يؤدب ، ولا الصغير يستمع الى الكبير .

وضج الناس من فوضى الشارع المصرى . من اهمال نظافته . من سوء استخدامه . من جنون سياراته من استهتار قائدى عرباته .. ومن حقوق المارة الضائعة !

فى المكاتب الحكومية ، لا أحد يعمل . الغرف خالية من العاملين. والشوارع مزدحمة بالموظفين الذين تركوا مكاتبهم بحثا عن شىء لا يعرفه غيرهم . ومصالح الجماهير معطلة . وأساءة المعاملة قاعدة عامة .

وكان لا بد ان تكتب الصحافة عن هذا التسيب . الصحف القومية سلطت الاضواء على جوانب عديدة من فوضى الشارع المصرى . والصحف الحزبية تشددت فى نقدها ، وانتقاداتها .

وكان الزعيم الراحل انور السادات يقرأ ، بعض ما ينشر . وكان يغضب غضبا شديدا من هذا التسيب ، وهذه الفوضى . وكان يصدر أوامره بالتصدى له ، ولها . وسرعان ما تصدر القوانين اللازمة وتبدأ الحملات الاعلامية لتنفيذها.

ويتابع الرأى العام خطوات التنفيذ لفترة ، تطول أو تقصر ، ثم يهدأ كل شىء . ويعود التسيب الى معظم ما كان عليه من قبل . وتعود الفوضى الى الشارع مرة اخرى . وتضطر الصحافة الى الكتابة من جديد ، تنقد ، وتنتقد.

وينتهزها البعض فرصة للهجوم على الصحافة. فيتهمها بانها ترفض من اجل الرفض وحده . فالحكومة اعلنت الحرب على التسيب

والفوضى . ووضعت القوانين والنظم واللوائح ، موضع التنفيذ .. فلماذا اذن هذا الاصرار على النقد الذى لا يتوقف ؟!

ويذهب هذا البعض الى رئيس الجمهورية ، يقول له : (لقد وضعنا حدا للسيب ، وطاردنا الفوضى فى كل مكان . ولكن الصحافة لم تتوقف عن نقدها .

واستمرت فى حملاتها . انها تتجاهل الانجازات ، وتركز فقط على السيئات . وحتى عندما وضعنا حدا لتلك السيئات ، تجاهل النقاد ما نفعله ، واممنوا فى هجومهم ورفضهم . انها صحافة ترى بعين واحدة ، وتكتب بهدف واحد هو اثارة الراى العام ضد الحكومة !

ولم يكن الرئيس السادات يثق كثيرا فيما تكتبه الصحافة . فقد سبق له ان عمل صحفيا ، وعاش بين الصحفيين ، ويعرف معظمهم معرفة شخصية . ولذلك فهو يهتم بشخص صاحب القلم ، اكثر بكثير مما يكتبه هذا القلم . فاذا كانت فكرته عن الكاتب لا غبار عليها ، اهتم بما كتبه ، حتى ولو كان نقدا لاذعا ضد النظام ، وضد الحكومة . اما اذا كانت فكرته سيئة عن كاتب المقال ، فانه لا يلتفت الى سطوره ، حتى ولو جاءت بالحقيقة ، وعبرت عما تطالب به الجماهير .

وكثيرا ما اعلن السادات رايه هذا فى اكثر من خطاب ، واكثر من مناسبة . كان رحمه الله يقول دائما : (اذا تاكدت من ان هذا الصحفى ، يكتب بهدف شخصى ، او لتصفية حساب قديم مع النظام ، فانني لا اقرا كلمة واحدة له . فانا لا اتعامل ابدا مع الحقد ، ولا اضيع وقتى مع الحاقدين .

ولهذا السبب ، كثيرا ما هاجم الزعيم الراحل بعض اصحاب الاقلام ، هجوما عنيفا . وكثيرا ايضا ما كان يقول : (انتم لا تعرفون هذا الكاتب . انا اعرفه اكثر منكم . انه يستغل الصحافة لضرب النظام . فلا الشعب يهمه ولا الصالح العام يشغل باله . وكل ما يكتبه هو هراء لا خير فيه، ولا فائدة منه .)

وعلى الرغم من هذا الهجوم العنيف ، الذى كثيرا ما شنه الزعيم الراحل على بعض الزملاء نتيجة لما يكتب فى الصحف القومية او الصحف الحزبية ، فان السادات لم يكن ابدا هذا الديكتاتور الذى يتصوره البعض. فليس صحيحا مطلقا ان السادات كان ضد النقد ، وضد المعارضة ، وضد الراى الاخر . بل لا اعتقد ان مصر عرفت مسئولا ـ كبيرا او صغيرا ـ فى العصر الحديث ، تقبل النقد واستمع الى المعارضة ، وشجع الراى الاخر ، كما عرفت الرئيس انور السادات .

الرجل اصبح الان فى رحاب الله وليس مطلوبا من احد ان يعطيه ما ليس فيه ، او ينافقه تقربا منه .

كثيرون ظلموا الزعيم الراحل فى حياته . . اتهموه بانه يضيق بالمعارضة . ويخرس السنتها . ويقصف اقلامها ، ويسكت

اصـــواتها . ويرفض مشورتها . ويسخر من افكارها . ليس هـذا فقط بل ان البعض اتهم الزعـيم الراحـــل بأنه لا يقرأ الا لمن ينافقه .. ولا يقرب الا من يسبح بحمـــده بالاخبار التى ينشرها ، والمقالات التى يكتبها ، والقصائد التى ينظمها .

وعندما يقال لهـذا البعض ان السادات هو الذى رفع الرقابةعن الصحف ، عادوا واكدوا انه رفع الرقابة الرسمية ، وابعد مكتب المراقبين الرسميين ، واحل محلهم رؤساء التحرير الذين يقـــومون بمهمة الرقابة ، وكسر الاقـلام ، ومنع النقـــد ، كابشع ما تكون الرقابة ، والرقباء !

والدليل الدامغ لذلك هو ان الصحف القومية لا هم لها سـوى ارضاء السادات بما تكتبه عنه ، وعن انجازاته ، من اول سطر فى الصحيفة حتى آخر سطر فيها . فكل كلمة ينطق بها تصبح مانشيت الصفحة الاولى . وكل تحرك يقوم به ، يجسد بالقلم ، والصورة ، فى معظم الصفحات الداخلية. وكل لقاء يدعو اليه ، يكون مادة لجميع مقالات الكتاب ، وضوءا يجرى خلفه طـــابور المحـــررين ، والمخبرين الصحفيين لايام عديدة . ليس هذا فقط بل ان الصحف القومية تلغى أخبارها ، وابوابهـــا ومساحات اعلاناتها ، حتى يمكنها ان تنشر كل حرف من الخطاب الطـويل الذى القاه الرئيس فى احدى المناسبات القومية . وتصدر الصحف القومية - فى اليوم التالى - وقد افسحت نصف صفحاتها - على الاقـــل - لنشر الخطـاب الطـــويل الذى استغرق القاؤه ثلاث ساعات كاملة، وسبق للناس سماعه فى الاذاعـة ، وشاهدوه فوق شاشة التليفزيون.!

وهذا ما كان يحدث بالفعل .

ولكن السؤال الان هو : (من الذى طلب من الاذاعة ان تعيـد اذاعة الخطاب اكثر من مرة ،وعلى مدى يومين او ثلاثة ، وعلى معظم الموجات وباكثر من لغة اجنبية ؟! من الـــذى امر التليفـــزيون بان يعيد عرض الخطاب - بصورة وصوت الرئيس الســادات - على الهواء ، مرة ، ثم مسـجلا مرات ومـــرات ؟! ومن الذى طلب من الصحف القومية ان تنشر الخطاب بنفس الكلمات ، والحـــروف ، والجمل المعادة ، وباللغة العامية التى كان الشـــعب المصرى يحب ســـماعها من الرئيس ؟ لا اعرف حقيقة ، من هو صـــاحب هـــذا الامـر .. ولكن الذى اســتطيع ان اؤكده هنا هو ان هذا الشخص ليس الرئيس انور السادات باى حال من الاحوال .

والدليل ..

لا ادعى لنفسى بطولة زائفة ، فاقول ان (اخبار اليوم) لم تنشر خطابا للرئيس السادات بالكامل منذ ان توليت رئاسة تحريرها. فالذى حدث ان (اخبار اليوم) تصدر صباح كل يوم سبت ، ولم يحدث ان القى الرئيس السادات خطابا فى يوم الجمعة،وبالتالى لا استطيع ان اتباهى واعلن اننـــا لم ننشر خطب السادات بالكامل فى (اخبار اليـــوم) التى اتولى رئاســـة تحريرها !

ولكن الذى يمكننى ان اقـوله هنا اننا فى صحيفة (مايو) - التى شرفنى الزعيم الراحـــل لرئاسة تحريرها - اتبعنا اسلوبا مختلفا

عن باقى الصحف . فاذا تصادف ان ألقى السادات خطابا فى يوم الاحد ، قمنا بتلخيصه ، ونشر الجزء المختصر فى (مايو) فى صباح اليوم التالى . فقد رأينا ان القارىء يفضل ان يستمع الى الخطاب الطويل ، وباللغة العامية، من الاذاعة ، او يراه على الهواء فوق شاشة التليفزيون . ولكنه ـ اى القارىء ـ لا يقرأ الخطاب فى الصحيفة ، خاصة اذا اعادت الاذاعه اذاعته ، وأعاد التليفزيون عرضه، لن فاتهم سماعه ومشاهدته فى اليوم السابق .

وللحقيقة ، والتاريخ ، أقول ان الرئيس السادات هنأنا على هذا الاسلوب فى نشر خطبه ، وكلماته ، وأحاديثه التى ننشرها له الصحف الاجنبية وتنقلها لنا وكالات الانباء . ومازلت أتذكر ما قاله لى الزعيم الراحل فى هذه المناسبه .. قال :

ـ (اننى شخصيا لا أستمع ابدا الى خطاب القيته ، ولا أشاهده فى التليفزيون ، ولا اقرأه فى الصحيفة. واعتقد ان القارىء لا يستطيع هو الاخر ان يقرأ خطابا طويلا ، سبق ان استمع اليه ، أو شاهده بالامس .. ويمكن للصحيفة ان تلخص أهم ما جاء فى الخطاب، وباسلوبها هى .)

وهذا ما فعلناه مع خطب الزعيم الراحل ، وبتأييده هو شخصيا..

وهذا ما فعلناه ايضا مع الخطاب الاخير للرئيس محمد حسنى مبارك الذى القاه يوم الاحد الماضى أمام مجلس الشعب والشورى ، فقد خصصنا جانبا للخطاب فى الصفحة الاولى ، ونشرنا نصه فى الصفحات الداخلية ، لانه كان خطابا قصيرا، ومكتوبا ، ومصاغا باللغة العربية.

قالوا : ان الزعيم الراحل كان يسمع عن حالات الانحراف ، ولا يهتم بها . وكان يقرأ ن استغلال نفوذ فى وقع من المواقع ، ولا يأمر بالتحقيق مع المستغلين ، والمنحرفين، والسماسرة !

وقالوا ايضا ـ ان معظم الحملات الصحفية التى تعرضت لشخصيات مسئولة فى الدولة ، سرعان ماتوقفت فجاة . بناء على أمر من الرئيس السادات شخصيا !

وكل ما اعلمه ، ان هذه الاتهامات كلها لا اساس لها من الصحة . ومرة اخرى اجدنى مضطرا الى العودة الى مواقف شخصية ، عشتها ، وكنت طرفا فيها ، لا لشىء الا لابرهن على ان الزعيم الراحل لم يكن هذا الرجل الذى تصوره البعض ، واتهموه بما لا شان له به!

فى كل مرة كنت اكتب فيها عن شخص ما ، من الشخصيات التى كانت تسىء الى سمعة النظام ، أو تستغل نفوذها ، او تسطو على ما ليس حقا لها ، كان الزعيم الراحل يسألنى عن اسم الشخص الذى اتعرض لانحرافاته . وكان رحمه الله يستمع الى الوقائع التى تجمعت لدى ، ويقرأ ما أقدمه له من وثائق الاتهام ، وهو فى دهشة، وغضب شديدين . فى كل مرة كان الزعيم الراحل يقول لى :

ـ (اكتب كل شىء اكشف اى

انحراف . لا تخف من اى انسان، ما دمت تملك الدليل على ماتكتبه

وعندما كنت اطلق اسماء وصفات مستعارة على الشخصيات المنحرفة التى أتعرض لها ، كان رحمه الله يقول لى :

ـ (كثيرون احتاروا مثلى فى تحديد من تكتب عنهم . مثل المغرور ، والبهلوان ، والحمال ، والمحظوظ .. و .. و . الخ . وفى رايى أن تكتب الاسماء الحقيقية بلا أدنى حرج . ولا يجب أن تتعب القارىء فى البحث عن الاسماء وتحديد أصحابها . اكتب كل شىء، وبكل وضوح .) ولم يكن الزعيم الراحل يكتفى بمعرفة الشخصيات التى أكتب عنها ، وانما كان يطلب من المسئولين ان يحققوا فيما اكتبه، وان يمسكوا بالمنحرف طبقا للقانون

وليس سرا ايضا ان الزعيم السادات هو الذى طلب من د.صوفى أبو طالب أن يرفع الحصانة عن المحظوظ ، الذى كتبت عنه عدة مرات ورفض مجلس الشعب رفع الحصانة البرلمانية عنه بناء على طلب والحاح المدعى العام الاشتراكى وباقى اجهزة الامن والقضاء !

وليس سرا ايضا ان الزعيم الراحل هو الذى اصدر قرارا الى رئيس هيئة ميناء الاسكندرية يطلب منه منع دخول جميع اخوته ـ اشقاء الرئيس السادات ـ الى الدائرة الجمركية لميناء الاسكندرية ! .. وهو القرار الذى ما زال ساريا حتى هذه اللحظة ، على الرغم من أن اخوة الزعيم الراحل تقدموا منذ ايام بطلب الى رئيس هيئة الميناء يطلبون رفع الحظر عنهم ، بعد وفاة السادات !

هذا ما فعله الزعيم الراحل مع اقرب اقربائه ، وبمجرد أن وصلته معلومات عن نشاطه وعملياته داخل ميناء الاسكندرية .

وهذا ما كان يفعله الزعيم الراحل مع اى شخص ، مهما كان شأنه أو موقعه منه .

رحم الله الزعيم الشهيد ، قائدا وانسانا شريفا ، وبشرا يمكن ان يخطىء ويصيب .

رحم الله السادات الذى كانت اخطاؤه اقل بكثير جدا من حسناته .